الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

إعداد

مكتبة الحرم المكي الشريف

لماذا بكى النبي صلى الله عليه وسلم؟

كيف لا يبكي الحبيب وهو يلثم قطعة وياقوتة من الجنة: (الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا أن الله تعالى طمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب) أخرجه الترمذي وصححه الألباني.

وقال: (إن الركن والمقام من ياقوت الجنة ولولا ما مسه من خطايا بني آدم لأضاء ما بين المشرق والمغرب وما مسهما من ذي عاهة ولا سقيم إلا شفي). أخرجه البيهقي وقال الألباني حسن صحيح.

وقال: (لولا ما مسه من أنجاس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا شفي وما على الأرض شيء من الجنة غيره). أخرجه البيهقي وصححه الألباني.

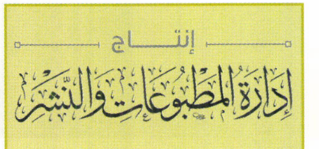
كيف لا يبكي الحبيب وهو يذكر فضل الله وكرمه على أمته.. وذنوبهم تتناثر عند هذا الحجر، إنّما هي قبلة أو استلام أو مجرّد مسحةٍ فقط وبعدها يتبدّل الحال!! أمر أكّده ﷺ بقوله (استلامهما – أي الحجر والركن اليماني- يحطّ الخطايا حطّا). أخرجه أحمد وصححه الألباني وقال: (إنّ مسحهما كفارة للخطايا). أخرجه الترمذي وصححه الألباني.

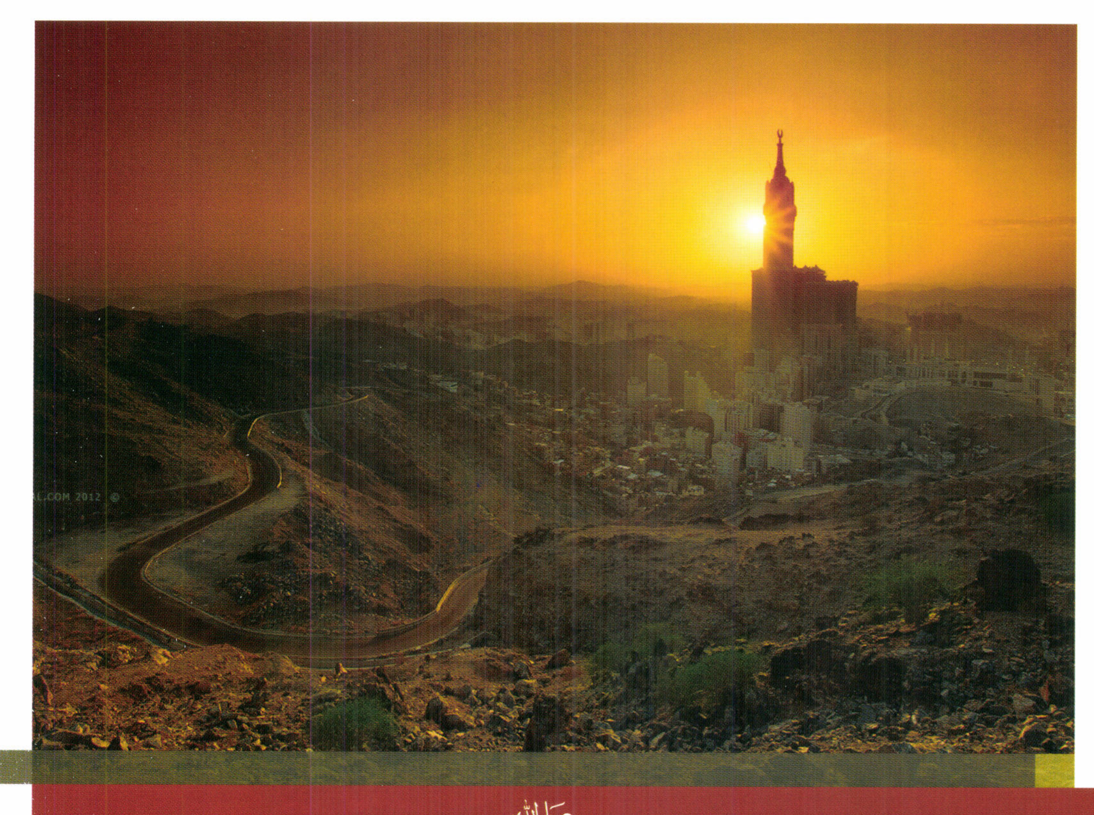
بكى الحبيب ﷺ! وهو بأبي وأمي قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، فأنت يا محب ألا يجدر بك أن تبكي على حالك والذنوب تحوطك من كلّ مكان؟ فالتوبة لا تحتاج إلى حجر ليقبّل.. ولكنّها تحتاج لقلب إلى الله مقبل! والأوبة لا تحتاج إلى قبلة تستقبل، ولكنها تحتاج إلى دمعة خاشع تهراق من المقل!

قال الفاروق رضي الله عنه (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبّلك ما قبلتك). أخرجه البخاري ومسلم.

فما أجمل أن تبدأ بعدها صفحة جديدة مع الله وقد حطت ذنوبك وخطاياك!

فاللهم ارحمنا برحمتك واجعلنا من صفوتك واجعلنا تحت لواء نبيّك.





خطى النبي ﷺ نحوها، وكل خطوة تقربه منها.. كانت تضرب في عمق التاريخ وتذكّره بأيّام خلت، وفترة مضت، وذكريات أليمة، ومواقف عصيبة!!

وها هو الآن -بأبي هو وأمّي- يعود إليها بعد ثلاث عشرة سنة، والشوق يحدوه إليها، وقف أمامها محتفياً بحبّها ومعظّماً لمكانتها في قلبه، ثمّ فاضت عيناه الشريفتان وبكى لمّا اقترب منها!! فلماذا بكى الحبيب ﷺ لمّا رأى «الكعبة» المشرّفة؟!

اقترب النبي ﷺ من الكعبة، في إحرامه الطاهر...

وخُلقه المتواضع، تقدّم إلى حيث ذكريات جدّه -إبراهيم ؑ- أبي الحنيفيّة ومرسي دعائم هذا البيت العظيم، جنبات الحرم تدوّي بالتهليل والتكبير، كلمات التلبية وعبارات التوحيد تملأ المكان فتطرب الزمان، وتتصاعد في إخلاصها المتناهي إلى الواحد الديّان..

هنا يقترب النبي ﷺ من الحجر الأسود ليقبّله قبلةً ترسم على جبينه درّة مضيئة على مرّ السنين.. وضع شفتيه عليه طويلاً.. لم يتمالك الحبيب نفسه، صاحب النفس الخاشعة والعين الدامعة..

فينثر دموعه مدراراً وتتحدّر على خدّه المشرق كاللآلئ المضيئة..

فعن جابر ﵁ قال: (فبدأ النبي ﷺ بالحجر فاستلمه، وفاضت عيناه بالبكاء، ثمّ رملَ ثلاثاً ومشى أربعاً حتى فرغ، فلمّا فرغ قبّل الحجر، ووضع يديه عليه، ومسح بهما وجهه) أخرجه البيهقي، قال ابن كثير في السيرة النبوية إسناده جيّد.

وروي أنّه حين التفت رأى عمر بن الخطاب يبكي فقال: (ههنا تسكب العبرات يا عمر) أخرجه ابن ماجة.

الحجر الأسود قبّلته — بِشفَتَيْ قلبي وكلّي وَلَهْ
لا لاعتقادي أنه نافع — بل لهيامي بالذي قَبَّلَهْ



